الباب التاسع

الاعلام والفكر

obeikandl.com

obeikandl.com

فى عالمنا المعاصر تطورت وسائل الاتصال، ونقل الأفكار والمعلومات، بشكل لم يسبق له مثيل، فهي تنتقل بسرعة الضوء والصوت، وتغزو العالم في ثوان معدودة وهناك أعداد ضخمة من المؤسسات والأجهزة والأدوات الخاصة بالتثقيف الجماهيري وتكوين الرأي العام، وتصميم الشخصية وتعد وسائل الاعلام والمعلومات، هي القوة المهيمنة على التفكير والفعالة في تكوين نمط السلوك.

فالاعلام يساهم في تكوين الفكر السياسي والدعاية للشخصيات والأفكار، كما يساهم مساهمة فعالة، لا سيما الاعلام المصور،كالتلفزيون والسينما والفيديو والمجلة فى الاغراء الجنسي، والتعريف بالازياء والسلوك والافكار والإثارة، وتوجيه الراي العام والشباب- لا سيما في مرحلة المراهقة- مهيأون أكثر من غيرهم، لتقمص الشخصيات، والتأثر بالشخصيات التي تظهر على شاشة التلفزيون، أو السينما، من الممثلين وعارضي الازياء، ورجال العصابات، وشخصيات العنف... الخ.

كما يتأثر الشباب بالشخصيات التي تمثل دور البطولة السياسية والاجتماعية والثورية وعظماء التاريخ، ذلك لأن المراهق- من الاناث والذكور- في هذه المرحلة هو في طور تكوين الشخصية، وانتقاء المثال الذي يتأثر به.

وحيث إن الغرائز والمشاعر، لا سيما غريزة الجنس، في قمة القوة والعنفوان، والضغط على المراهق، وتبحث عن طريق للتعبير والتفريغ، فإن وسائل الاعلام ساهمت مساهمة فعالة في اثارتها عن طريق الافلام والصور الخليعة وعن طريق القصص الغرامية والأدب والثقافة، كما ساهمت أفلام العصابات والاجرام في حرف الكثير من المراهقين وتدريبهم على اقتراف الجريمة، لذا فإن الرقابة في بعض دول العالم تمنع عرض العديد من الافلام الجنسية، وأفلام العصابات، كما تمنع أحيانا حضور المراهقين إلى قاعات عرض تلك الافلام.

وتفرض بعض دول العالم الرقابة على الأفلام الخليعة والمثيرة، أو التي تحث على تناول المخدرات والجريمة سجل الدكتور اسكندر الديلة نتيجة إحصائية قام بها في لبنان، تخص مشاهدة الفيديو، جاء فيها: (أن مشاهدة الافلام الاجتماعية والعاطفية حازت على الدرجة الأولى، وحلت الافلام البوليسية في المرتبة الثانية...).

وجاء في تقرير آخر: لقد تبين من دراسة اجريت في الولايات المتحدة على ١١٠ من نزلاء مؤسسة عقابية أن ٤٩% من هذه المجموعة أعطتهم السينما الرغبة في حمل السلاح و١٢- ٢١% منهم أعطتهم السينما الرغبة في السرقة وقتال الشرطة.

ومن خلال دراسة أجريت على ٢٥٢ فتاة منحرفة بين سن ١٤- ١٨ سنة تبين أن ٢٥% منهن مارسن العلاقات الجنسية نتيجة مشاهدتهن مشاهد جنسية مثيرة في السينما و٤١% منهن قادتهن المشاهد إلى الحفلات الصاخبة، والمسارح الليلية و٥٤% منهن هربن من المدرسة لمشاهدة الأفلام و١٧% تركن المنزل لخلاف مع الأهل حول ذهابهن إلى السينما.

وجاء في تقرير هيئة الصحة العالمية عن انحراف الأحداث، وعلى لسان أحد القضاة الفرنسيين العاملين في ميدان الأحداث ما يأتي: لا يخالجني أي تردد عن بعض الأفلام، وخاصة الأفلام البوليسية المثيرة أنها السبب فى معظم الأثر الضار على غالبية حالات الانحراف لدى الأحداث وفي انجلترا تمكنت بعض الدراسات من خلال استجواب ١٣٤٤ شخصية متخصصة فى العلاقة بين السينما وانحراف الأولاد دون السادسة عشرة فأجاب ستمائة منهم بوجود علاقة بين انحراف الأحداث والسينما كما اظهرت بعض الدراسات في الغرب أن بعض السرقات الكبيرة كان الدافع اليها تردد الأحداث بشكل متكرر إلى قاعات السينما.

وهكذا يتضح أن مشاهدة الافلام العاطفية، ومنها الجنسية هي في المرتبة الأولى، وأن مشاهدة الأفلام البوليسة يأتي في المرتبة الثانية، كما أكدت الدراسات العلمية، أن المراهق في هذه المرحلة يسعى من

خلال المحيط لتكوين شخصيته، وهو سريع التأثر والتقبل؛ لوجود العواطف والغرائز والشحنات النفسية والجسدية المتوثبة، والباحثة عن التعبير والتفريغ ومن هذه الاحصائية ندرك أهمية العمل الاعلامي في تكوين السلوك العاطفي والغريزي، والاقدام على تقمص شخصيات أبطال الافلام والمغامرات.

وتعد وسائل الاعلام سواء كانت التقليدية (كالصحف أو التليفزيون أو الإذاعة)أو الوسائل الحديثة كالصحافة الالكترونية ومواقع الاخبار والمعرفة المختلفة على شبكة الانترنت، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر والتي تعد الآن أحد وسائل نقل الاخبار والأكثر شهرة فى العالم، كل هذه الوسائل لها تأثير كبير على تشكيل بناء الوعى والمعرفة للفرد أو المجتمع ويساهم هذا البناء في تشكيل رؤية الفرد والمجتمع تجاه قضايا مجتمعه والقدرة على تحليلها واستيعابها لاتخاذ السلوك المناسب حول هذه القضايا، فوسائل الاعلام أيضا قادرة على تغير سلوك وأنماط المجتمع.

وقد يكون تأثير وسائل الاعلام فى بعض الاحيان قويا جدا وقادر على نشر نمط سلوكى وثقافي واجتماعى ينتهجه الفرد أو المجتمع، وفى بعض الاحيان يكون تأثير وسائل الاعلام أقل تأثيرا ويستطيع الفرد أو المجتمع الخروج من النمط الفكري والاجتماعى والسياسى الذي ترسمه

وسائل الاعلام، ويتوقف ذلك على مدى رغبة الفرد أو المتلقى للتعرض للرسائل والمعلومات التى تبثها وسائل الاعلام المختلفة فكلما كان الفرد أو المتلقى لديه رغبات واشباعات حول معلومات أو قضايا معينة فانه يتجه إلى وسائل الاعلام لاشباع رغباته وتطلعاته بما يسمى نظرية التعرض الانتقائي بمعنى ان الفرد او المتلقى يبحث دائما فى وسائل الاعلام عما يتفق مع افكاره واتجاهاته حتى لو كان ما يبحث عنه المتلقي هو مشاهدة أفلام سينمائية او أغاني فيديو كليب فذلك يدخل ضمن اشباعات ورغبات المتلقين .

ولكن فكرة أن وسائل الاعلام دائما ماتكون ايجابية فيما تقدمه من معلومات ليست صحيحة فى المطلق فيؤكد عدد كبير من علماء الاعلام والاتصال أن عدد كبير من الدول والانظمة السياسة تسعى للهيمنة على وسائل الاعلام ليبث من خلالها أفكار واتجاهات بغرض التأثير على الجمهور لصالح النظام السياسى أو المهيمنين على وسائل الاعلام ومن الممكن ان تكون هذه الأفكار مشوهة بغرض ايجاد حالة من الانقسام بين المواطنين تجاه قضايا معينة.

وهناك دراسات تؤكد أن الفرد الذي لايشاهد التليفزيون بصورة كبيرة تكون لديه مصادر متنوعة لعدد كبير من الاخبار بينما من يتعرض بصورة كبيرة للتليفزيون تكون لديه مصادر محدودة للمعلومات، لذلك

الاعتماد على التليفزيون أو وسيلة إعلامية واحدة كمصدر وحيد للمعلومات ليس صحيحا لتكوين رؤية شاملة ومتنوعة، فالقراءة والاطلاع فى خلفيات الاحداث أمر هام سواء لتكوين بناء فكرى متميز ومتنوع، وفى نفس الوقت يكون قادر على معرفة إذا كان الاعلام يضلله ويوجه لصالح الدولة أو النظام السياسى أو المهيمنين على الاعلام سواء من رجال الأعمال أو من المقربين من السلطة أو فلول النظام القديم كما هو يحدث الآن فى بعض المشاهدات التي سنقوم بشرحها فى السطور التالية، أو إذا كان الاعلام بالفعل يعبر عن واقع فعلى يعيشه المواطن ويعبر عن قضاياه الأساسية ويجمعهم على القضايا المؤثرة وصاحبة الأولوية للاستكمال عملية الإصلاح التي بدأتها ثورة يناير.

لذلك يجب أن يكون مشاهدة وسائل الاعلام وما تقدمه من معلومات تتبعها نظرة تحليلية وتفكير من المشاهد فى ما يجب أن تطرحه وسائل الاعلام من قضايا هامة تشكل فيما بعد مايسمى الرأي العام الواعي تجاه القضايا التى يجب العمل عليها فى الوقت الحالى لتحقيق مايصبو إليه كل مواطن مصرى وتنحية جميع القضايا الخلافية التى تعطل من إقامة حياة ديمقراطية وبناء دولة أخرى قوية فى جميع المجالات، وقد بدأ تاريخ مصر الجديدة في ٢٥ يناير يوم ثورة الشعب.

تأثير التكنولوجيا على الفكر

ما زالت وتيرة التقدّم العلميّ والتكنولوجيّ متسارعة في مختلف ميادين الحياة، وتخطو بخطى واسعة باتجاه المزيد من التعقيد التقني والدخول في جميع التفاصيل اليوميّة للفرد، وإلغاء الكثير من الأنشطة التي كانت تعتمد على الجهد الوظيفي، ونكاد لا نرى مجالا من المجالات يخلو من التقنيّة، فتحوّل العالم فعليّاً إلى قرية صغيرة مترابطة أثيرياً، وجعلت الإنسان على تماسّ مباشر مع العولمّة، وهكذا تمّ ردم الفجوات الزمنية عبر وسائل الاتصال والتواصل المختلفة، ولا شك أن الإعلام كان من أهم المجالات التي أسهم التقدم التقني في تطويرها، فصار أقوى مؤثرات العصر الحديث والموجه الفاعل للثقافة المعاصرة سياسياً واجتماعياً بشقيه السمعي والبصري، وقد خلق هذا الوسيط (الميديا) واقعاً لنمط التفكير المعاصر، ونستطيع أن نعيد صياغة العنوان بأثر توظيف الحدث السمعي والمرئي وانعكاسهما على الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي بالنسبة للمتلقي.

والخوض في هذا الحديث ذو مستويات وأبعاد كثيرة فنحن نتكلّم عن إعادة تشكيل العقل على أساس سلطة الإعلام ببعدها التكنولوجي إذ أن مفهوم الثقافة والتفكير قديماً بنيَ على عدد من المعطيات الذاتية والمعنوية كتراكم المعرفة والتواصل العلمي والثقافي والاجتماعي

وملاحقة مصادر المعلومات، بينما تلغي التكنولوجيا كل هذه المعطيات وبالتالي تخلق نوعاً من غياب النضج الفكري واستبعاد افتراض أن تكون هناك حركات للنهضة الفكرية وغيرها، حيث ينقسم زمن الثقافة في عصر العولمة إلى ثقافة قديمة تعتمد على الوعي التراكمي للمعرفة تقابلها ثقافة حديثة تعتمد على الميديا وعمليات التواصل التفاعلي، وبالتالي تحويل عادة القراءة المبنيّة على الممارسات المحسوسة إلى قراءة الشاشة مُحْدِثةً غيابا للذة القراءة القديمة التي تشرك وعي القارئ في الكتابة.

صنعت التكنولوجيا واقعا لم يكن قابلا للوجود يوماً من الأيام إلا في أفلام الخيال العلمي، مثل: المصانع التي تديرها الآلات، والسفر إلى الكواكب البعيدة، وهذا غيّر تعامل الإنسان مع الكتاب والمكتبات ومع الإعلام ووسائل الاتصال والمعرفة وخلق الحاجة إلى وجود فلسفة معاصرة تطرح اسئلة أخرى بعد أن تكفّلت التكنولوجيا بالإجابة على الأسئلة العلمية القديمة وعلى الرغم من أن هذه التكنولوجيا قربت المسافات بين المؤسسات العلمية والمعرفية وجعلت كل شيء تقريباً متاحاً وبأقرب السبل وأيسرها، وجعلت الشاشة الرفيق الدائم الذي تعرف من خلاله أخبار الصحف والمجلات وآخر الإصدارات ومواعيد رحلات الطيران وغيرها، إلا أن ذلك قد خلّف تراجعاً في نسبة الإقبال على الثقافة

المدونة، لأنها حلّت محل فعل التراكم المعرفي وثقافة التواصل والانفتاح لسهولة الوصول إلى المعلومة إلكترونيا، مكثفةً كذلك من الحيّز المادي الذي يتحرك فيه ومن خلاله الإنسان.

إن أحد أسباب عولمة الفكر التي مهّد لها الإعلام هو الرغبة في اختراق فكر الآخر لتكون حدود الزمان والمكان والتاريخ ومسألة الهوية التي بقيت محافظة على استقرارها تحت التأثير والمؤثر بالحضارات والثقافات الأخرى مهددة إياها بنظرية نستطيع تسميتها بالمركزية الغربيّة.

والنتيجة غير مطلقة في تأثير التكنولوجيا والإعلام على الفكر أنه:

١. استطاع تحفيز طاقة النقد في جيل الشباب وإطلاق الطاقات غير الإبداعية (الانفعالية) بهموم ذاتية وشخصية.

٢. أضافت التكنولوجيا شقّاً ثانيا لتاريخ المثقف، يتمثّل الأول في وجوده المعرفي ونشاطه الإبداعي الفعلي على الأرض وفي الواقع المعاش زائداً وجود الشخصي والثقافي في العالم الافتراضي أيضاً، فظهر في سجل حياة كل مثقف صفحة رقميّة تمثّل علامة في سيرته الذاتية.

٣. كان سبباً في ظهور التعصّب بأنواعه على أسس افتراضات مارسوا لأجلها هذه الثقافة على وهم أنهم يعيشون التميّز الحضاري.

٤. غياب الشخصنة، فأصبح لدينا مثقف مرئي/ ومثقف وهمي بالتالي خلق شهرة آنية تستند إلى آليات عمل غير مكتملة لتصبح ميولاً فردية تعيش أزمة ظهور.

تأثير الإعلام على فكر الشباب العربي

شكل الإعلام في واقعنا المعاصر عصب الحياة، ولا ينكر أحد مدى الانتشار الواسع للبث الإعلامي سواء الإذاعي أو الفضائي، أو حتى المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية، وتجاوزه لجميع الحدود وتخطيه أقصى المسافات، وأصبح أثره واضحاً على كافة الأصعدة، ولا شك أن طبقة الشباب من الطبقات المستهدفة لجميع الجهات، إذ لا يخفى ما لهذه الفئة من تأثير على مجتمعاتها وبالتالي على مكانة بلادهم ـ سلبًا أو إيجابًا ـ في الواقع المعاش.

يمثل الشباب في البلدان النامية أسرع شرائح سكان العالم نمواً، كما يشكل الشباب تحت سن الخامسة والعشرين أكثر من نصف سكان البلدان النامية البالغ عددهم خمسة بلايين نسمة، ومن ثمّ، فإن الشباب لا يمثلون المستقبل فقط، بل الحاضر أيضاً، ونتيجة للعولمة والتقدم التكنولوجي، ازداد التواصل فيما بين شباب اليوم كثيراً عن ذي قبل، وأصبح صوتهم

مؤثراً على نحو أكبر، فهم يشكلون مصدراً لم يستغل بعد لتحقيق التنمية والتغيير والتقدم.

العولمة والإعلام والفكر

لعل الشباب هم المعنيون بعصر العولمة وقضاياه ومشكلاته، فالعولمة مشروع كوني يطمح واضعوه ومفكّروه والداعون إليه إلى فرض ثقافتهم فى المستقبل على العالم، لذا فإن الجيل الجديد هو الأسبق فى التعامل مع هذه العولمة وأدواتها، فالكمبيوتر والإنترنت وشبكات المعلومات المعقدة أصبحت في متناول أيدي الشباب في سهولة ويسر، بينما تعتبر هذه الأشياء بالنسبة للأجيال الأكبر سناً معضلة، كما أن أنماط المعيشة التي تطرحها العولمة من مأكل ومشرب وعادات ثقافية موجّهة بالدرجة الأولى لأجيال الشباب، لأنهم الأقدر على الاستجابة والتقبّل السريع لأي مفاهيم جديدة خارجة عن المألوف، خاصة إذا كانت تقدم لهم بوسائل مبهرة وبطرق تقنية تؤثر في نفوسهم.

ونظرة سريعة على واقع شبابنا اليوم تكشف لنا مدى عزوف الشباب عن المشاركة في قضايا المجتمع، والابتعاد عن الأنشطة السياسية والاجتماعية، وهذا ناتج عن طول الاستبعاد الذي مورس ضدهم وعزلهم عن الحياة العامة خاصة السياسية سواء في المدارس والجامعات أو في

المنظمات الشعبية والديمقراطية المحدودة، فشبابنا اليوم يسعى خلف الإعلام الخارجي باحثاً عن الحقيقة، التي يشك في صدقها في إعلامه الرسمي، متصوّراً أنه سيجدها عند الغير، وهذا بداية الانسلاخ الثقافي وفقد الثقة في ثقافته والقائمين على تسيير شئونه، ومؤشر إلى سهولة السقوط تحت تأثير أي إعلام معاد له ولوطنه وتراثه الثقافي والحضاري، وسنرتكب أخطاء أكثر فأكثر إن نحن تصوّرنا أن بإمكاننا الاستمرار في إبعاد جيل الشباب عن المشاركة الكاملة في إدارة شئون حياته ورسم مستقبله، فالكبار في عصر يقوده الشباب لن يتمكنوا من ضبط إيقاع الحياة دون الشباب ومشاركتهم الكاملة، وقد دلت الدراسات والأبحاث الحديثة على أن المجتمعات،التي تتعرض للتغير التقني السريع لا يعود الآباء فيها يملكون ما يقدّمونه لأبنائهم، لأن معارفهم تفقد ملاءمتها للواقع الجديد، فكيف بزمان كزماننا الذي فاقت سرعة التغير التقني فيه بملايين المرات سرعة التغيرات التقنية التي أصابت المجتمعات البشرية القديمة، فجيل الآباء في زماننا ما عادوا يملكون معظم الإجابات عن أسئلة أكثر وأعقد مما لا يقاس مما توافر لمن سبقهم، فهم يكادون أن يفقدوا الموقع الذي يخوّلهم أن يقولوا للصغار ماذا يفعلون وماذا لا يفعلون، وأصبحت العلاقة بين الطرفين بسبب التقنية الجديدة حواراً لا تلقين دروس وأوامر.

ومع التطورات العلمية والتقنية الهائلة، وثورة الاتصالات والإنترنت والفضائيات، ودخول العالم في مرحلة العولمة، كمنظومة ثقافية سياسية اقتصادية اجتماعية، يمكن ويجب أن تستغل التأثيرات القادمة عبر الإنترنت والفضائيات لزيادة وعي الجيل الشاب ومساعدة المنظمات السياسية والاجتماعية لكي تعمل من أجل:

١ــ تشجيع المواهب والهوايات المختلفة لدى جيل الشباب لملء الفراغ، وتوجيههم التوجيه الملائم والسليم.

٢ ـ الاهتمام بقضايا التعليم التي تخص الشباب والتركيز على أن تتم العملية التعليمية على أساس العقل والمنهج العلمي وليس على أساس الحشو والتلقين.

٣ ـ محاربة الجهل والأمية في صفوف الشباب، لأن الجهل والتخلف يتولد عنه أفكار متطرفة قد تدفع بالشباب والمجتمع إلى دوامة العنف والتطرف.

٤ ـدراسة المشاكل الاجتماعية السائدة بوسائل بحث فردية وجماعية ووضع التصورات العملية لهذه المشاكل.

٥ ـ غرس القيم الديمقراطية لدى الشباب من خلال تكريس تقاليد النقاش والحوار الحر وتبادل الرأي بين الجماعة، ونجاح هذا التوجه يعني تعزيز المفاهيم الديمقراطية في المجتمع ككل.

٦ ـ نشر الوعي السياسي والثقافي بين جيل الشباب، الذي يمكنهم من الإلمام بأزمات ومشاكل مجتمعهم.

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع

١. نحو تاريخ مقارن لأديان التوحيد- محمد أركون.

٢. قراءة بشرية للدين- ترجمة أحمد القبانجي ومحمد الشبستري.

٣. السلطة في الإسلام- عبد الجواد ياسين.

٤. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد - سعود العريفي.

٥.الأسس القرآنية للتقدم-د / محمد أحمد خلف الله.

٦.تاريخ الفكر العربي الإسلامي - محمد أركون.

٧. تجديد الفكر الإسلامي - د / حسن الترابي.

٨. تذكرة الحفاظ، - الحافظ الذهبي.

٩. العلمانيون والقرآن الكريم - د. أحمد الطعان.

١٠.التطبيق الصرفي - د / عبده الراجحي.

١١. تهافُت الفلاسفة - أبو حامد الغزالي.

١٢. ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق - الشيخ يوسف القرضاوي.

١٣.خصائص التصوُّر الإسلامي - سيد قطب.

١٤. سنن أبي داود- سن ابن ماجه - السنن الكبرى للإمام النسائي.

١٥.العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب - محمد حامد الناصر.

١٦.الفكر الإسلامي نقد واجتهاد- محمد أركون ترجمه هاشم صالح.

١٧. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل- محمد أركون.

١٨. قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر - حسن حنفي.
١٩. قضية التنوير في العالم الإسلامي - محمد قطب.
٢٠. مستقبل الثقافة في مصر - طه حسين.
٢١. نشأة الفِكْر الفلسفي في الإسلام- د / علي سامي النشار.
٢٢. منهج كتابة التاريخ الإسلامي - محمد السلمي.
٢٣. العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب - محمد الناصر .
٢٤. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد- سعود العريفي.
٢٥. الأسس القرآنية للتقدم - د / محمد أحمد خلف الله.
٢٦. تجديد الفكر الإسلامي، د / حسن الترابي .
٢٧. ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، الشيخ يوسف القرضاوي.
٢٨. خصائص التصوُّر الإسلامي - سيد قطب.
٢٩. العلمانيون والقرآن الكريم- د. أحمد الطعان.
٣٠. قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر- حسن حنفي .
٣١. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ أبو الحسن الندوي .
٣٢. مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين.
٣٣. معالم في الطريق- سيد قطب.
٣٤. الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني.
٣٥. المنطق الحديث ومناهج البحث- د / محمود قاسم.
٣٦. منهج كتابة التاريخ الإسلامي - محمد السلمي.

٣٧. نشأة الفِكْر الفلسفي في الإسلام- د /علي سامي النشار.
٣٨. التربية الإسلامية وفلاسفتها- محمد الإبراشي .
٣٩. أصول التربية الإسلامية- أمين أبولاوي.
٤٠. تطور الفكر التربوي- خضر فخري.
٤١. تراثنا بين ماضي وحاضر- عائشة عبدالرحمن.
٤٢. تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم و المتعلم - بدر الدين ابن جماعة.
٤٣. الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره- مصطفى زياد.
٤٤. اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي- سعيد إسماعيل على .